

عناية العلماء به وأهم المؤلفات فيه:

كان للعلماء -رحمهم الله تعالى- عناية كبيرة واهتمام عظيم بإعجاز القرآن الكريم. وهناك سؤال يطرح نفسه، هل إن مصطلح (المعجزة) ،أو (الإعجاز) ورد في القرآن الكريم

الجواب :أن مصطلح "المعجزة" أو "إعجاز القرآن" لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة -رضي الله عنهم- وإنما ورد التعبير عن هذا المعنى بالآية والبرهان والسلطان.. وهي العبارات التي كان يتداولها العلماء في القرنين الأول والثاني الهجريين عند حديثهم عن إعجاز القرآن، وليس هناك تحديد دقيق لتأريخ ظهور مصطلح إعجاز القرآن. وقد استعمل هذا المصطلح في نهاية القرن الثاني وأوائل القرن الثالث ويؤيد هذا أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى "ت ٢٤١هـ" استعمل كلمة "معجزة" للأمر الخارق المؤيد للأنبياء ولما استعمل له من بعده مصطلح "الكرامة" .

كما ظهر استعمال هذا المصطلح عند النظام "ت ٢٣١هـ" أحد أئمة المعتزلة حين زعم أن إعجاز القرآن كان بالصرفة - فتصدى له علماء السنة والجماعة وردوا عليه وأبطلوا زعمه فشاع مصطلح المعجزة ..

أما أول كتاب يحمل هذا المصطلح في عنوانه فهو كتاب "إعجاز القرآن" الذي ألفه محمد بن زيد الواسطي المتوفى سنة ٣٠٦هـ وهو كتاب مفقود. إلا أن أقدم كتاب خاص بإعجاز القرآن وصل إلينا هو "النكت في إعجاز القرآن" لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني وهو من أئمة المعتزلة.

ثم تتابعت المؤلفات بعد ذلك وكثرت كثرة لا تكاد تحصى قديماً وحديثاً وليس من السهل حصرها كلها وسأذكر بعض هذه المؤلفات إجمالاً.

أولاً :إعجاز القرآن في المؤلفات القديمة :

يمكن إجمال جهود العلماء في المؤلفات القديمة وعلى النحو الآتي :

١- تكاد كلمة الباحثين تتفق على أن الجاحظ ت (٢٥٥) هو أول من درس موضوع الإعجاز في كتاب مستقل فقد ألف كتاب (نظم القرآن) ويبرى أن القرآن الكريم معجز في نظمه وتأليفه ،ورد على شيخه النظام ت (٢٢٤) الذي زعم أن إعجاز القرآن كائن في الصرفة ،ومعناها أن الله تعالى صرف العرب عن معارضته ولولا ذلك لكان في مقدورهم الإتيان بمثله والقول بالصرفة باطل

٢- ومن أقدم الكتب التي عالجت الموضوع كتاب (بيان إعجاز القرآن) للخطابي لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي "ت ٣٨٨" ويرى أن القرآن معجز بفصاحة ألفاظه فقال " واعلم أن القرآن أنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمنا أصح المعاني"

٣- وألف الرماني ت "٣٨٦" كتاب ( النكت في إعجاز القرآن) فقال "وجوه إعجاز القرآن، فقال: إنها تظهر من سبع جهات وهي: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة وقياسه بكل معجزة.

٤- وألف الباقلائي ت "٤٠٣هـ" كتاب (إعجاز القرآن) فقال إعجاز القرآن" إنه بديع النظم عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه والذي أطلقه العلماء هو على هذه الجملة

٥- وممن اعتنى بإعجاز القرآن شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني "ت ٤٧١هـ" في كتابه (الرسالة الشافية) وكتاب دلائل الإعجاز: وهو أيضا لعبد القاهر الجرجاني

٦- وبحث القاضي عياض ت (٥٤٤) الإعجاز في كتابه (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى) وحدد وجوه الإعجاز الرئيسية في أربعة هي:

أولها: حُسْنُ تَأْلِيفِهِ وَالتَّيَّامُ كَلِمِهِ وَفَصَاحَتُهُ وَوُجُوهُ إِيجَازِهِ وَبِلَاغَتُهُ لَخَارِقَةٌ عَادَةٌ الْعَرَبِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَابَ هَذَا الشَّانِ وَفُرْسَانَ الْكَلَامِ قَدْ خُصُّوا مِنَ الْبِلَاغَةِ وَالْحِكْمِ مَا لَمْ يُخَصَّ بِهِ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَّمِ. وَلِهَذَا لَمَّا سَمِعَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) الْآيَةَ قَالَ وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُعْدَقٌ وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ مَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ، وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ (فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ) فَسَجَدَ وَقَالَ سَجَدْتُ لِفَصَاحَتِهِ،

وَسَمِعَ آخَرَ رَجُلًا يَقْرَأُ (فَلَمَّا اسْتَبَيَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مَخْلُوقًا لَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ

الْوَجْهَ الثَّانِي: من إعجازه صورة نظم العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها

الْوَجْهَ الثَّلَاثُ: من الإعجاز ما انطوى عليه من الأخبار بالمعانيات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر كقوله تعالى (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) وقوله تعالى (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) وقوله (ليظهره عليه الدين كله) وقوله (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ) الآية وقوله (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) إلى آخرها فكان جميع هذا كما قال فعَلَبَتِ الرُّومُ فَارِسَ فِي بَضْعِ سِنِينَ،

الْوَجْهَ الرَّابِعُ: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة ، كقصص الأنبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف وإخوته وأصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه

٧- كتاب (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) للفخر الرازي "ت٦٠٦هـ"

٨- وكتاب (معتك الأقران في إعجاز القرآن) لجلال الدين السيوطي "ت٩١١هـ"

ثانيا: إعجاز القرآن في المؤلفات الحديثة:

فكثيرة جدًا في مختلف أوجه الإعجاز، أذكر بعض أشهرها:

١- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: للأستاذ مصطفى الرافي "ت١٣٥٦هـ"

٢- النبأ العظيم د. محمد عبد الله دراز "ت١٣٧٧هـ"

٣- مباحث في إعجاز القرآن د. مصطفى مسلم وكتبه مؤلفه لطلاب قسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٤- البيان في إعجاز القرآن د. صلاح الخالدي

أقسام المعجزة :

تتقسم المعجزة إلى قسمين :

١- وَهِيَ إِمَامًا حَسْبِيَّةٌ

٢- وَإِمَامًا عَقْلِيَّةٌ

لماذا كانت معجزات بني إسرائيل حسية

الجواب : لِإِبْلَادَتِهِمْ وَقَلَّةِ بَصِيرَتِهِمْ

لماذا كانت معجزات هذه الأمة عقلية

الجواب : أَكْثَرُ مُعْجَزَاتِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَقْلِيَّةٌ لِفَرْطِ ذَكَائِهِمْ وَكَمَالِ أَفْهَامِهِمْ وَلِأَنَّ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ لَمَّا كَانَتْ بَاقِيَةً عَلَى صَفَحَاتِ الدَّهْرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ خُصَّتْ بِالْمُعْجَزَةِ الْعَقْلِيَّةِ الْبَاقِيَةِ لِيَرَاهَا دُورُ الْبَصَائِرِ قَالَ النَّبِيُّ (ص) " مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ أَمَنْ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَهُ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " وَمُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ انْقَرَضَتْ بِانْقِرَاضِ أَعْصَارِهِمْ فَلَمْ يُشَاهِدْهَا إِلَّا مَنْ حَضَرَهَا وَمُعْجَزَةُ الْقُرْآنِ مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَخَرَقَتْهُ الْعَادَةُ فِي أُسْلُوبِهِ وَبَلَغَتْهُ وَإِخْبَارِهِ بِالْمُعْجِزَاتِ فَلَا يَمُرُّ عَصْرٌ مِنَ الْأَعْصَارِ إِلَّا وَيُظْهَرُ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ أَنَّهُ سَيَكُونُ يُدُلُّ عَلَى صِحَّةِ دَعْوَاهُ وَقِيلَ الْمَعْنَى أَنَّ الْمُعْجَزَاتِ الْوَاضِحَةَ الْمَاضِيَةَ كَانَتْ حَسْبِيَّةً تُشَاهَدُ بِالْأَبْصَارِ كَنَاقَةِ صَالِحٍ وَعَصَا مُوسَى وَمُعْجَزَةُ الْقُرْآنِ تُشَاهَدُ بِالْبَصِيرَةِ فَيَكُونُ مَنْ يَتَّبِعُهُ لِأَجْلِهَا أَكْثَرَ لِأَنَّ الَّذِي يُشَاهَدُ بِعَيْنِ الرَّأْسِ يَنْقَرُضُ بِانْقِرَاضِ مُشَاهِدِهِ وَالَّذِي يُشَاهَدُ بِعَيْنِ الْعَقْلِ بَاقٍ يُشَاهَدُهُ كُلُّ مَنْ جَاءَ بَعْدَ الْأَوَّلِ مُسْتَمِرًّا